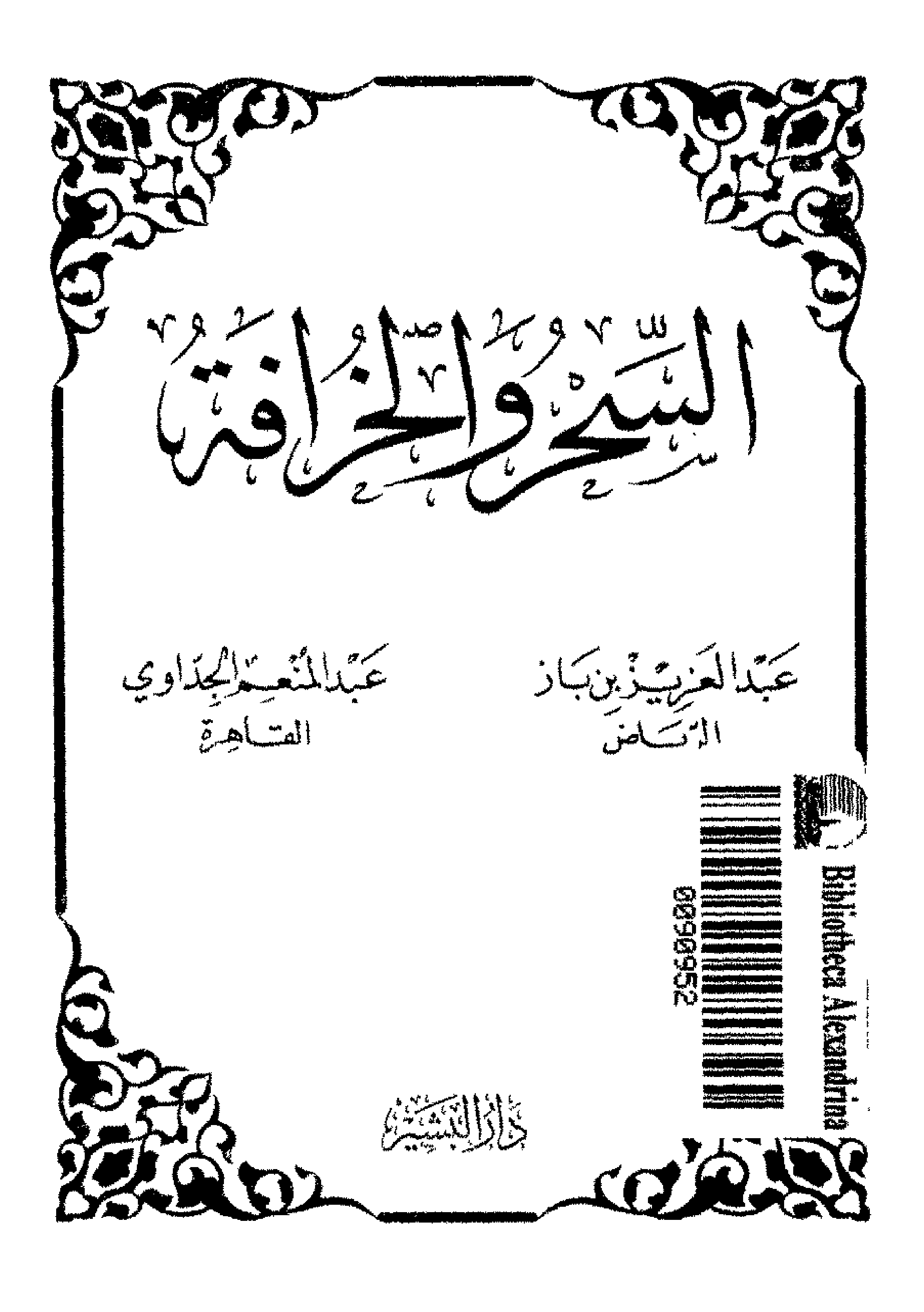

السحر والخرافة
عبد العزيز بن باز
الرياض
عبد المنعم الجداوي
القاهرة
Bibliotheca Alexandrina

السِّحْرُ وَالخُرَافَةُ

يحق لكل مسلم طبع هذه الرسالة

الطبعة الأولى للمجموع

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١١٥٢/٩/١٩٩٦)

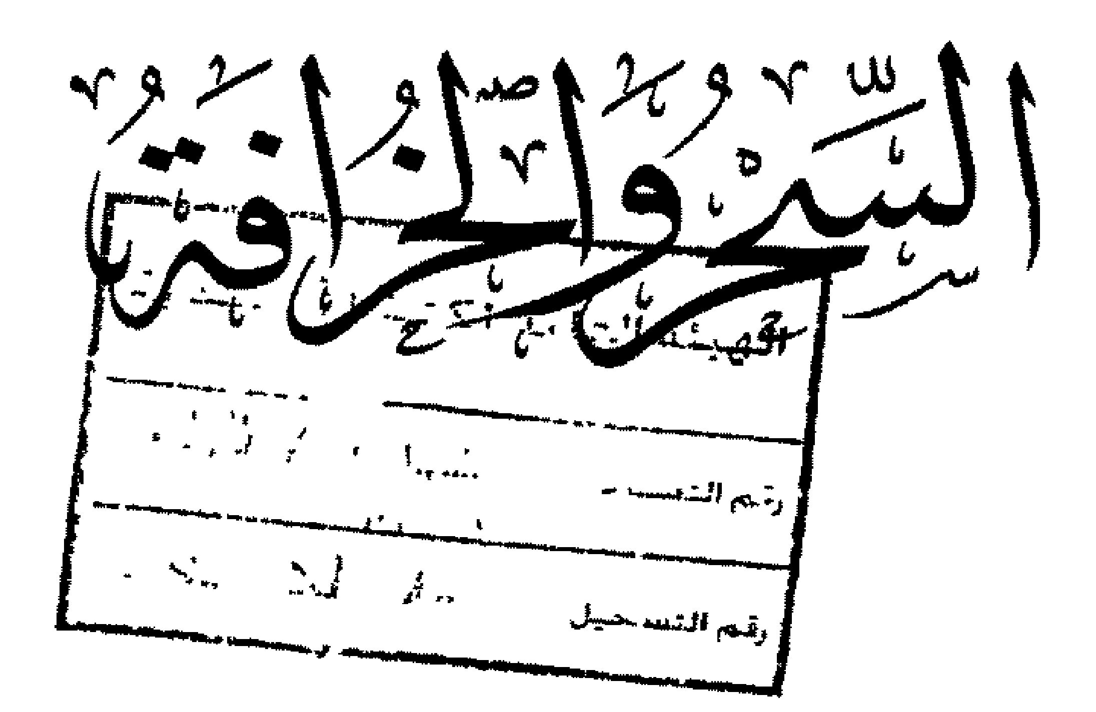
رقم التصنيف	٢٤٤
المؤلف ومن هو في حكمه	عبد العزيز بن باز وعبد المنعم الجداوي
عنوان المصنف	السحر والخرافة
الموضوع الرئيسي	١- الديانات ٢- العقيد الإسلامية
رقم الإيداع	(١١٥٢/٩/١٩٩٦)
بيانات النشر	عمان : دار البشير

* تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية



ص.ب (٧٧ ١٨٢) / (١٨٣٩٨٢)
هاتف (٦٥٩٨٩١) / (٦٥٩٨٩٢)
فاكس - (٦٥٩٨٩٣) تلكس (٨ ٢٣٧) بشير
مركز جوهرة القدس التجاري / العبدلي
عمان - الأردن

Dar Al-Bashir
For Publishing & Distribution
Tel (659891) / (659892)
Fax (659893) / Tlx (23708) Bashir
P O.Box (182077) / (183982)
Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali
Amman - Jordan



عبد العزيز بن باز
الرياض

عبد المنعم الجداوي
القاهرة

دار البشير


بسم الله الرحمن الرحيم

١) حكم السحر والكهانة

للشيخ عبد العزيز بن باز

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فنظراً لكثرة المشعوذين في الآونة الأخيرة ممن يدّعون الطب ويعالجون عن طريق السحر أو الكهانة وانتشارهم في بعض البلاد واستغلالهم للسذج من الناس ممن يغلب عليهم الجهل، رأيت من باب النصيحة لله ولعباده أن أبين ما في ذلك من خطر عظيم على الإسلام والمسلمين لما فيه من التعلق بغير الله ومخالفة أمره وأمر رسوله ﷺ.

فأقول مستعيناً بالله تعالى: يجوز التداوي اتفاقاً، وللمسلم أن يذهب إلى طبيب أمراض باطنية أو جراحية أو عصبية أو نحو ذلك ليشخص له مرضه ويعالجه بما يناسبه من الأدوية المباحة شرعاً حسبما يعرفه في علم الطب؛ لأن ذلك من باب الأخذ بالأسباب العادية ولا ينافي التوكل على

الله، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى الداء وأنزل معه الدواء عرف ذلـك من عرفه وجهله من جهله، ولكنه سبحانه لم يجعل شفاء عباده فيما حرّمه عليهم.

فلا يجوز للمريض أن يذهب إلى الكهنة الذين يدّعون معـرفة المغيبات ليعرف منهم مرضه، كما لا يجوز له أن يصدقهم فيما يخبرونه به فإنهم يتكلمون رجماً بالغيب أو يستحضرون الجن ليستعينوا بهم على ما يريدون، وهؤلاء شأنهم الكفر والضلال.

وقد روى مسلم في صحيحه[1] أن النبي ﷺ قال: «من أتى عرّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً» وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد بريء مما أنزل على محمد ﷺ» رواه أبو داود[2] وخرّجه غيره من أهل السنن الأربع وصححه الحاكم عن النبي ﷺ بلفظ «من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدقه

---

(١) (٢٢٣٠)

(٢) في سننه (٣٩٠٤).

بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[1] وعن عمران ابن حصين رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «ليس منّا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» رواه البزار بإسناد جيد[2].

ففي هذه الأحاديث الشريفة النهي عن إتيان العرافين وأمثالهم وسؤالهم وتصديقهم والوعيد على ذلك فالواجب على ولاة الأمور وأهل الحسبة وغيرهم ممن لهم قدرة وسلطان إنكار إتيان الكهان والعرافين ونحوهم ومنع من يتعاطى شيئاً من ذلك في الأسواق وغيرها والإنكار عليهم أشد الإنكار، والإنكار على من يجيء إليهم، ولا يغتر بصدقهم في بعض الأمور ولا بكثرة من يأتي إليهم ممن ينتسب إلى العلم فإنهم غير راسخين في العلم بل من الجهال لما في إتيانهم من المحذور لأن الرسول ﷺ قد

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٦٣٩)، والترمذي (١٣٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩٠١٧)، والحاكم ١/ ٨.

(٢) (٣٠٤٤).

نهى عن إتيانهم وسؤالهم وتصديقهم؛ لما في ذلك من المنكر العظيم والخطر الجسيم والعواقب الوخيمة ولأنهم كذبة فجرة، كما أن في هذه الأحاديث دليلاً على كفر الكاهن والساحر لأنهما يدّعيان علم الغيب وذلك كفر، ولأنهما لا يتوصلان إلى مقصدهما إلا بخدمة الجن وعبادتهم من دون الله وذلك كفر بالله وشرك به سبحانه.

والمصدق لهم بدعواهم علم الغيب ويعتقد بذلك يكون مثلهم، وكل من تلقى هذه الأمور عمّن يتعاطاها فقد برىء منه رسول الله ﷺ، ولا يجوز للمسلم أن يخضع لما يزعمونه علاجاً كنمنمتهم بالطلاسم أو صب الرصاص ونحو ذلك من الخرافات التي يعملونها فإن هذا من الكهانة والتلبيس على الناس ومن رضي بذلك فقد ساعدهم على باطلهم وكفرهم. كما لا يجوز أيضاً لأحد من المسلمين أن يذهب إلى من يسأله من الكهان ونحوهم عمن سيتزوج ابنه أو قريبه أو عما يكون بين الزوجين وأسرتيهما من المحبة والوفاء أو العداوة والفراق ونحو ذلك لأن هذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

السحر من المحرمات الكفرية كما قال الله عزّ وجل في شأن الملكين في سورة البقرة **﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾** فدلت هذه الآية الكريمة على أن السحر كفر وأن السحرة يفرقون بين المرء وزوجه كما دلّت على أن السحر ليس بمؤثر لذاته نفعاً ولا ضراً وإنما يؤثر بإذن الله الكوني القدري لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الخير والشر. ولقد عظم الضرر واشتد الخطب بهؤلاء المفترين الذين ورثوا هذه العلوم عن المشركين ولبسوا بها على ضعفاء العقول فإنا لله وإنا إليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل. كما دلت الآية الكريمة على أن الذين يتعلمون السحر إنما يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم وأنه ليس لهم عند الله من خلاق أي: من حظ ونصيب، وهذا وعيد عظيم يدل على شدة خسارتهم في الدنيا والآخرة وأنهم باعوا أنفسهم

بأبخس الأثمان. ولهذا ذمهم الله سبحانه وتعالى على ذلك بقوله ﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾ والشراء هنا بمعنى البيع.

نسأل الله العافية والسلامة من شر السحرة والكهنة وسائر المشعوذين كما نسأله سبحانه أن يقي المسلمين شرهم وأن يوفق المسلمين للحذر منهم وتنفيذ حكم الله فيهم حتى يستريح العباد من ضررهم وأعمالهم الخبيثة إنه جواد كريم. وقد شرع الله سبحانه لعباده ما يتّقون به شر السحر قبل وقوعه وأوضح لهم سبحانه ما يعالجونه به بعد وقوعه رحمة منه لهم وإحساناً منه إليهم وإتماماً لنعمته عليهم، وفيما يلي بيان للأشياء التي يُتّقى بها خطر السحر قبل وقوعه والأشياء التي يعالج بها بعد وقوعه من الأمور المباحة شرعاً.

(أما النوع الأول) وهو الذي يتقى به خطر السحر قبل وقوعه فأهم ذلك وأنفعه هو التحصن بالأذكار الشرعية والدعوات والتعوذات المأثورة ومن ذلك قراءة آية الكرسي خلف كل صلاة مكتوبة بعد الأذكار المشروعة بعد السلام

ومن ذلك قراءتها عند النوم، وآية الكرسي هي أعظم آية في القرآن الكريم وهي قوله سبحانه ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم**﴾ ومن ذلك قراءة ﴿**قل هو الله أحد**﴾، و ﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾، و﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾، خلف كل صلاة مكتوبة وقراءة السور ثلاث مرات في أول النهار بعد صلاة الفجر وفي أول الليل بعد صلاة المغرب، ومن ذلك قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة في أول الليل وهما قوله تعالى ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**﴾ إلى آخر السورة. وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح»[1] وصح عنه أيضاً ﷺ أنه قال: «من قرأ بالآيتين

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً (٥٠١٠) من حديث أبي هريرة.

من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[1] والمعنى والله أعلم كفتاه من كل سوء، ومن ذلك الإكثار من التعوذ «بكلمات الله التامات من شر ما خلق» في الليل والنهار وعند نزول أي منـزل في البناء أو الصحراء أو الجو أو البحر لقول النبي ﷺ: (من نزل منزلاً فقال «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك[2] ومن ذلك أن يقول المسلم في أول النهار وأول الليل ثلاث مرات (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم)[3] لصحة الترغيب في ذلك عن رسول الله ﷺ وأن ذلك سبب للسلامة من كل سوء، وهذه الأذكار والتعوذات من أعظم الأسباب في اتقاء شر السحرة وغيره من الشرور لمن حافظ عليها بصدق وإيمان وثقة بالله

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٠٨) و(٥٠٠٩) و(٥٠٤٠) و(٥٠٥١)، ومسلم (٨٠٧) (٢٥٥) و(٨٠٨) (٢٥٦) من حديث أبي مسعود البدري.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٨) من حديث خولة بنت حكيم السلمية.

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٦٠)، وأبو داود (٥٠٨٨) و(٥٠٨٩)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، والترمذي (٣٣٨٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٦) والحديث صحيح.

واعتماد عليه وانشراح صدر لما دلّت عليه .

(وأمـا النـوع الثاني) وهو الذي يعالج به السحر بعد وقوعه ، فهذه الأذكار من أعظم السلاح لإزالـة السحر بعد وقـوعه مع الإكثار من الضراعة إلى الله وسؤاله سبحانه أن يكشف الضرر ويزيل البأس، ومن الأدعية الثابتة عنه ﷺ في علاج الأمراض من السحر وغيره ـ وكان ﷺ يرقي بها أصحـابه ـ: «اللهم رب الناس اذهب البأس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً»[1] - ومن ذلك ـ الرقية التي رقى بها جبرائيل النبي ﷺ وهي قوله (بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حـاسـد، اللهيشفيك بسم الله أرقيك)[2] وليكرر ذلـك ثلاث مرات .

ومن علاج السحـر بعد وقوعه أيضاً (وهو علاج نافع للرجل إذا حبس من جماع أهله) أن يأخذ سبع ورقات من السـدر الأخضـر فيدقهـا بحجر أو نحوه ويجعلها في إناء ويصب عليه من المـاء ما يكفيه للغُسـل ويقـرأ فيهـا آية

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٢) من حديث أنس.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٨٦) (٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري.

الكرسي و﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و﴿قل هو الله أحد﴾ و﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و﴿قل أعوذ برب الناس﴾ وآيات السحر التي في سورة الأعراف وهي قوله سبحانه ﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون. فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون. فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين﴾ والآيات التي في سورة يونس وهي قوله سبحانه ﴿وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم. فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون. فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين. ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون﴾ والآيات التي في سورة طه ﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى. قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى. فأوجس في نفسه خيفة موسى. قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى. وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾.

وبعد قراءة ما ذكر في الماء يشرب بعض الشيء ويغتسل بالباقي وبذلك يزول الداء إن شاء الله تعالى. وإن دعت

الحاجة لاستعماله مرتين أو أكثر فلا بأس حتى يزول الداء .

ومن علاج السحر أيضاً وهو من أنفع علاجه بذل الجهود في معرفة موضع السحر في أرض أو جبل أو غير ذلك فإذا عرف واستخرج وأتلف بطل السحر . هذا ما تيسر بيانه من الأمور التي يتقى بها السحر ويعالج بها والله ولي التوفيق .

وأما علاجه بعمل السحرة الذي هو التقرب إلى الجن بالذبح أو غيره من القربات فهذا لا يجوز لأنه من عمل الشيطان بل من الشرك الأكبر فالواجب الحذر من ذلك، كما لا يجوز علاجه بسؤال الكهنة والعرافين والمشعوذين واستعمال ما يقولون لأنهم لا يؤمنون ولأنهم كذبة فجرة يدّعون علم الغيب ويُلبّسون على الناس وقد حذّر الرسول ﷺ من إتيانهم وسؤالهم وتصديقهم كما سبق بيان ذلك في أول هذه الرسالة . والله المسئول أن يوفق المسلمين للعافية من كل سوء وأن يحفظ عليهم دينهم ويرزقهم الفقه فيه والعافية من كل ما يخالف شرعه وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٢) اعترافات . . .

كنت قبوريّا

الأستاذ عبدالمنعم الجداوي القاهرة/ مصر

«الخرافة» عجوز متصابية تتعلق بصاحبها . . !

«التوحيد» يهدم أولا . . ثم يبني من جديد . . !

ليس سهلا أن يتراجع «القبوري» . . !

«التوحيد» يحتاج إلى إرادة واعية . . !

(١)

ترددت كثيراً في كتابة هذه الاعترافات، لأكثر من سبب.. ثم أقدمت على كتابتها لأكثر من سبب، وأسباب الإحجام والإقدام واحدة.. فقد خشيت أن يقرأ العنوان بعض القراء ثم يقولون: مالنا ولتخريف أحد معظمي القبور. ولكن قد يكون بعض القراء في المنطقة النفسية التي كنت أعيشها قبل تصحيح عقيدتي.. فيقرأون اعترافاتي.. فيفهمون، ويعبرون من ظلمة الخرافة إلى نور العقيدة، وفي ذلك وحده ما يقويني على الكشف عن ذاتي أمام الناس، ما دام ذلك سوف يكون سبباً في هداية بعضهم إلى حقيقة التوحيد.

ولقد كنت من كبار معظمي القبور فلا أكاد أزور مدينة بها أي قبر أو ضريح لشيخ عظيم.. إلا وأهرع فوراً للطواف به.. سواء كنت أعرف كراماته أو لا أعرفها.. أحياناً أخترع لهم كرامات.. أو أتصورها أو أتخيلها.. فإذا نجح ابني

هذا العـام . . كان ذلـك للمبلغ الكبير الـذي دفعتـه في صنـدوق النـذور . . وإذا شفيت زوجتي كان ذلك للسمنة التي كان عليها الخروف الذي ذبحته للشيخ العظيم فلان ولي الله . . !

(٢)

وحينمـا التقيت بالـدكتـور جميل غازي ، وكان اللقاء لعمل مجلة إسلامية تقوم بالاعلام والنشر عن جمعية العزيز بالله القاهرية ، والتي تضم مساجد أخرى ، ورسالتها الأولى «التـوحيـد» وتـصـحيح العقيدة ، وبحكم اللقـاءات المتكررة . . كان لا بد من صلاة الجمعة في مسجد العزيز بالله . . وهـاجم «الـدكتـور جميل» في بساطة ، وبعقلانية شديدة . . هذا المنحنى المخيف في العقيدة ، وسماه شركاً بالله ، وذلـك لأن العبـد في غفلة من عقله يطلب المـدد والعون من مخلوق ميت . . . ! !

أفـزعني الهجـوم ، وأفـزعتني الحقيقـة . . ومـا أفـزع الحقيقة للغافلين . . ولو أن «الدكتور جميل» اكتفى بذلك لهـان الأمـر . . لكنـه في كل مرة يخـطب لا بد أن يمس

الموضوع بإصرار. فالضريح لا يضم سوى عبد ميت فقط.. بل قد يكون أحياناً خالياً حتى من العظام التي لا تنفع ولا تضر..!

في أول الأمر اهتززت.. فقدت توازني.. كنت أعود إلى بيتي.. بعد صلاة كل جمعة حزيناً.. شيء ما يجثم فوق صدري.. يقيد أحاسيسي ومشاعري.. أحاول في مشقة أن أخرج عن هذا الخاطر.. هل كنت في ضلالة طوال هذه الأعوام..؟ أم أن صديقي «الدكتور» قد بالغ في الأمر.. فأنا أعتقد أن كل من نطق بالشهادة لا يمكن أن يكون كافراً.. لهفوة من الهفوات أو زلة من الزلات..!

شيء آخر أشعل في فؤادي لهباً يأكل طمأنينتي في بطء.. إن الدكتور يضعني في مواجهة صريحة.. ضد أصحاب الأضرحة الأولياء.. والخطباء على المنابر صباح مساء.. يعلنونها صريحة.. أن الذي يؤذي ولياً.. فهو في حرب مع الله سبحانه وتعالى.. وهناك حديث صحيح في هذا المعنى.. وأنا لا أريد أن أدخل في حرب ضد

أصحاب القبور والأضرحة لأنني أعوذ بالله من أن أدخل في حرب معه جل جلاله . . !

وقلت إن أسلم وسيلة للدفاع هي الهجوم . . واستعدت قراءة بعض الصفحات من كتاب «الغزالي»:«إحياء علوم الدين»، وصفحات أخرى من كتاب «لطائف المنن» «لابن عطاء السكندري»، وحفظت عن ظهر قلب الكرامات، وأسماء أصحابها، ومناسبات وقوعها، وذهبت الجمعة الثانية، وكظمت غيظي وأنا أستمع إلى «الدكتور» فلما انتهى من الدرس . . أصر على أن يدعوني لتناول طعام الغداء، وبعد الغداء . . تسلمته هجوماً بلا هوادة . . معتمداً على عاملين . . الأول هو أنني حفظت كمية لا بأس بها من الكرامات، والثاني أنني على ثقة من أنه لن يتهور فيداعبني بكفيه الغليظتين لأنني في بيته، وتناولت طعامه فأمنت غضبته . . وقلت له، والآتي هو المعنى، وليس نص الحوار: «إن الأولياء لا يدرك درجاتهم إلا من كان على درجتهم من الصفاء والشفافية، وأنهم رجال

أخلصوا لله . . فجعل لهم دون الناس ما خصهم به من آيات . . وأن . . وأن . . وأن . . وانتظر الدكتور حتى انتهيت من هجومي . . وأحسست أنه لن يجد ما يقوله . . وإذا به يقول:

هل تعتقد أن أي شيخ منهم كان أكرم على الله من رسوله؟

ـ قلت مذهولاً: لا . .

ـ إذاً كيف يمشي بعضهم على الماء، أو يطير في الهواء . . أو يقطف ثمار الجنة وهو على الأرض . . ورسول الله لم يفعل ذلك . . ؟

كان يمكن أن يكون ذلك كافياً لإقناعي أو لتراجعي . . لكنه التعصب قاتله الله . . كبر عليّ أن أسلم بهذه البساطة . . كيف ألقي ثقافة إسلامية عمرها في حياتي أكثر من ثلاثين عاماً . . قد تكون خاطئة . . غير أني فهمتها على أنها الحقيقة، ولا حقيقة سواها . . !

وعدت أقرأ من جديد في الكتب التي تملأ مكتبتي . . وأعود إلى «الدكتور» ويستمر الحوار بيننا إلى ساعة متأخرة من الليل . . فقد كنتُ من كبار عشاق الصوفية . . لماذا . ؟ لأني أحب أشعارهم وأحب موسيقاهم وألحانهم التي هي مزيج من التراث الشعبي ، وخليط من ألحان قديمة متنوعة . . شرقية ، وفارسية ، ومملوكية ، وطبلة افريقية أحيانا . . تدق وحدها . . أو ناي مصري حزين ينفرد بالأنين مع بعض أشعارهم التي تتحدث عن لقاء الحبيب بمحبوبه وقت السحر . . !

لهذا وللأسباب الأخرى . . أحببت الصوفية . . وكنت أعشقها ، وأحفظ عن ظهر قلب الكثير من شعر أقطابها . . لا سيما «ابن الفارض» ، وكل حجتي التي أبسطها في معارضة «الدكتور» : أنه وأمثاله من الذين يدعون إلى «التوحيد» لا يريدون للدين روحاً ، وإنما يجردونه من الخيال ، وأنهم لا بد أن يصلوا إلى ما وصل إليه أصحاب الكرامات . . لكي يدركوا ما هي الكرامات . . فلن يعرف الموج إلا من شاهد البحر ، ولا يعرف العشق إلا من كابد الحب . وهذا أسلوب

صوفي أيضاً في الإستدلال:

لا يعـــرف الشـــوق إلا من يكـــابـده
ولا الـــصـبـــابـــة إلا من يعـــانـيهـــا

وحتى لا يضطرب وجداني، وتتمزق مشاعري.. حاولت أن أنقطع عن لقاء «الدكتور».. ولكنه لم يتركني.. فوجئت به يدق جرس الباب ولم أصدق عيني.. كان هو.. قد جاء يسأل عني.. وتكلمنا كالعادة كثيراً وطويلاً.. فلما سألني عن سبب عدم حضوري لصلاة الجمعة معه.. قلت له بصراحة:

ـ لقد يئست منك..!

قال:

ـ ولكني لم أيأس منك.. أنت فيك خير كثير للعقيدة..

قلتُ إنه يستدرجني على طريقته.. ولمحت معه كتاباً من وضعه عن سيرة «الإمام محمد بن عبدالوهاب».. فقلت له:

ـ أعطني هذه النسخة . . هل يمكن ذلك . . ؟

قال :

ـ هذه النسخة بالذات ليست لك، وسوف أعدك بواحدة . .

وهذه هي طريقته للإثارة دائماً . . لا يعطيني ما أطلب من أول مرة . . فخطفتُ النسخة ، ورفضت إعادتها له . !

وبعد منتصف الليل بدأت القراءة . . وشدني الكتاب موضوعاً وأسلوباً . . فلم أنم حتى الصباح . . !

كان الكتاب على حجمه المتواضع ، كالأعصار . . كالزلزال . . أخذني من نفسي ليضعني على حافة آفاق جديدة حكاية الشيخ «محمد بن عبدالوهاب» نفسه . . ثم قصة دعوته ، وما كابده من معاناة طويلة . . حينما كانت في صدره حنيناً . وكلما قرأت صفحة . . وجدت قلبي مع السطور. فإذا أغلقت الكتاب لأمر من الأمور. . يتطلب التفكير أو البحث في كتب أخرى . . استشعرت الذنب لأنني تركت الشيخ في «البصرة» ولم أصبر حتى يعود . . أو

تركته في بغداد يستعد للسفر إلى «كردستان» «. . ولا بد أن أصبر معه حتى يعود من غربته إلى بلده. . !

يقول الدكتور في كتابه (مجدد القرن الثاني عشر الهجري شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبدالوهاب).
«وبعد هذا التطواف والتجوال هل وجد ضالته المنشودة. . ؟

لا«فان العالم الإسلامي كله كان يعاني نوبات قاسية من الجهل والإنحطاط والتأخر. . عاد الرجل إلى بلده يحمل بين جوانحه ألماً ممضاً، لما أصاب المسلمين من انتكاس وتقهقر في كل مناحي حياتهم الدينية.

عاد إلى بلده وفي ذهنه فكرة تساوره بالليل والنهار.
لماذا لا يدعو الناس إلى الله . . ؟
لماذا لا يذكرهم بهدي رسول الله . . ؟
لماذا . . لماذا . . ؟

إذاً فهذه العقيدة التي يريدها «الدكتور» لم تأت من

فراغ . . فمنذ [منّ الله عليه بالعلم] . . والإمام محمد بن عبدالوهاب . . يفكر، ويقدم . . لكي يهدم صروح الأضرحة، ويحطم شبح الخرافات ويطارد المشعوذين الذين لطخوا وجه الشريعة السمحاء . . بخزعبلاتهم التي اكتسبت مع الأيام قداسة . . تخلع قلوب المؤمنين . . إذا فكروا في إزالتها.

وفي ذلك يقول الكتاب:

«ماذا كان وقْع هذه الأعمال على نفوس القوم . . ؟» .

ويجيب المؤرخون فيما يرويه الأستاذ أحمد حسين في كتابه «مشاهداتي في جزيرة العرب» أن القوم لم يقبلوا مشاركة الرجل فيما قام به من قطع الأشجار، وهدم القباب بل تركوا له وحده أن يقوم بهذا العمل حتى إذا ما كان هناك شر أصابه وحده . . !» .

هل يكون ما يزلزل كياني الآن هو الخوف الذي ورثته . . ؟ الخوف الذي جعل الناس في بلدة (العيينة) موطن الشيخ يتركونه يزيل الأشجار، وقبة قبر «زيد بن الخطاب» بنفسه . . خوفاً من أن تصيبهم اللعنات المتخلفة

من كرامات هذه الأماكن وأصحابها . . ؟

ومضيت أقرأ، ومع كل صفحة أشعر أنني أخلع من جدار الوهم في أعماقي حجراً ضخماً . . وحينما بلغت منتصف الكتاب . . كانت فجوة كبيرة داخلي قد انفتحت، وتسلل منها ومعها نور اليقين . ولكن في زحمة الظلمة التي كانت تعشعش في داخلي . . كان الشعاع يومض لحظة ويختفي لحظات . . !

(٣)

لقد استطاع «الدكتور» أن ينتصر . . تركني أحارب نفسي بنفسي . . بل جعلني أتابع مسيرة التوحيد مع شيخها محمد بن عبدالوهاب، وأشفق عليه من المؤامرات التي تحاك ضده وحوله، وكيف أنه حينما أقام الحد على المرأة التي زنت في (العيينة) . . غضب حاكم «الإحساء» «سليمان بن محمد بن عبدالعزيز الحميدي» واستشعر الخطر من الدعوة الجديدة وصاحبها . . فكتب إلى حاكم العيينة «ابن معمر» يأمره بكتم أنفاسها، وقتل المنادي بها،

والعودة فوراً إلى حظيرة الخرافات والخزعبلات.

ولـمـا كان «ابـن معـمـر» قد ارتـبط مع الـشيخ في مصـاهرة.. حيث زوجه ابنته.. فإنه تردد في قتله، ولكنه دعاه إلى اجتماع مغلق، وقرأ عليه رسالة حاكم «الاحساء» ثم رسم اليأس كله على ملامحه، وقال له إنه لا يستطيع أن يعصي أمـراً لحاكم «الاحساء» لأنه لا قبل له به.. ولعلها لحـظة يأس كشفت للشيخ عن عدم إيمان «ابن معمر».. ولم تزد الشيخ إلا إصراراً على عقيدته، وقوة في توحيده.. وقبل . في غير عتاب أن يغادر «العيينة».. مهاجرا في سبيل الله بتوحيده.. باحثاً عن أرض جديدة يزرعه فيها..!

(٤)

في الصباح استيقظت على ضجة في البيت غير عادية . . واعتدلت في فراشي ووصلت إلى أذني أصوات ليست آدمية خالصة ، ولا حيوانية خالصة . . ثغاء ، وصياح ، وكلام . . غير مفهوم العبارات . . وقلت لا بد أنني أعاني من بقية حلم ثقيل . . فتأكدت من يقظتي ، ولكن «الثغاء» هذه المرة . . اخترق طبلة أذني . . ودخلت عليّ زوجتي تحمل إليّ أنباء سارة جداً . . وهي تتلخص في أن ابنة خالتي التي تعيش في أقصى الصعيد . . ومعها زوجها ، وابنها البالغ من العمر ثلاث سنوات . . قد وصلوا في قطار الصعيد فجراً ، ومعهم «الخروف» . . !

وفجأة ودون استئذان اقتحم الباب «خروف» له فروة ، وقرون ، وأربعة أقدام . . واندفع في جنون من مطاردة الأولاد له . . فحطم ما اعترض طريقه . . ثم اتجه إلى المرآة ، وفي قفزة «عنترية» اعتدى على المرآة بنطحة قوية . تداعت بعدها ، وأحدثت أصواتاً عجيبة ، وهي تتحطم . . !

تم كل ذلك في لحظة سريعة . . وقبل أن أسترد

أنفاسي، وخيل إليّ أن بيتنا انفتح على حديقة الحيوانات. . رغم أنني أسكن في العباسية، والحديقة في الجيزة. . ولكن وجدت نفسي أقفز من على السرير، وخشيت زوجتي ثورة «الخروف»، وتضاءلت فانزوت في ركن. . ترمقني بعينيها، وتشجعني لكي أتصدى لهذا الحيوان المجنون. . الذي اقتحم علينا خلوتنا. . ولكن الصوت والزجاج المتناثر. . زاد من هياج الحيوان. . ولمحت في عينيه، وفي قرنيه الموت الزؤام. . واستعدت في ذهني كل حركات مصارعي الثيران، وأمسكت بملاءة السرير. . وقبل أن أجرب رشاقتي في الصراع مع «الخروف» دخلت إبنة خالتي. . وهي في حالة انزعاج كامل. . فقد خيل لها أنني سوف أقتله. . وصاحت، وهي على يقين من أنني سأصرعه:

ـ حاسب هذا خروف (السيد البدوي).

ونادته فتقدَّم إليها في دلال، وكأنه الطفل المدلل. فأمسكت به تربُت على رأسه، وروت لي أنها قدمت من

الصعيد، ومعها هذا الخروف البكر الرشيق الذي أنفقت في تربيته ثلاثة أعوام. . هي عمر ابنها. . لأنها نذرت للسيد البدوي إذا عاش ابنها. . أن تذبح على أعتابه «خروفاً»، وبعد غد ينتهي العام الثالث موعد النذر. . !

كانت تقول كل هذه العبارات، وهي سعيدة. . وخرجت إلى الصالة لأجد زوجها، وهو في ابتهاج عظيم. . يطلب أن أرافقهم إلى «طنطا». . لكي أرى هذا المهرجان العظيم. . وهم نظراً لبعد المسافة اكتفوا بالخروف، أمّا الذين على مقربة من «السيد البدوي» فانهم يضحّون بجمال. . وأصبح عليّ أن أجامل ابنة خالتي لكي يعيش ابنها، وإلا اعتبرت قاطعاً للرحم. . لا يهمني أن يعيش ابن بنت خالتي أو يموت. . إذا لزم أن أذهب معهم إلى مهرجان الشرك. وفي نفس الوقت كنت أسأل نفسي. . كيف أقنعها بأنها في طريقها إلى الكفر. . ؟ وماذا سيحدث حينما أحطم هذا الحلم الجميل الذي تعيش فيه منذ ثلاث سنوات. . ؟

وقلت أبدأ بزوجها أولاً لأن الرجال قوامون على

النساء. . وأخذت الزوج إلى زاوية في البيت، وتعمدت أن يرى في يدي كتاب «الامام محمد بن عبدالوهاب». . ومدّ يده فجعل الغلاف ناحيته، وما كاد يقرأ العنوان حتى قفز كأنه أمسك بجمرة نار. . . !

قرأ زوج ابنة خالتي عنوان الكتاب ـ الذي يقول إن في الصفحات قصة «الشيخ محمد بن عبدالوهاب»، ودعوته، وهتف صارخاً. . ما هذا الذي أقرؤه. . ؟ وكيف وصلني هذا الكتاب؟ لا بد أن أحدهم دسه عليّ. . فهو يعرف أنني رجل متزن. . أحرص على ديني، وعلى زيارة الأضرحة، وتقديم الشموع، والنذور، وأحياناً القرابين المذبوحة والحية. كما يفعل هو تماماً. . ورأيت في عينيه نظرة رثاء. . لسوء ما أصبت به في تلك النسخة. . وكان عليّ أن أقف منه. . موقف الدكتور جميل غازي مني سابقاً. . وشاء الله أن يكون ذلك بمثابة الامتحان لي. . هل في استطاعتي أن أطبق ما قرأت أم لا. . ؟ وهل استوعبت عن يقين ما قرأت أم لا. . ؟ وهل [سأعمل به وأعلمه أم لا. .]؟

والأهــم من ذلــك هو مدى إصــراري على عقــيدتــي وإقنـاع الآخـرين بهـا أيضاً . . فالذي لا يؤثر في المحيط الــذي يعــيش فيه . . هو صاحـب عقـيدة سلبـية . . غير إيجــابية . . فليس من المعقــول في شيء . . أن أطـوي «تــوحيدي» على نفسي ، وأتــرك الآخــرين يعيشـون في ضلالة . . لأنهم بعد فترة سوف يغرقونني في خرافاتهم . . وعليه فلا بد أن أجـادلهم بالتي هي أحسن . . لا أتـركهم يشعـرون أن الأمر هين . . لا بد أن أنفرهم من شركهم . . وهم لا بد أن يتراجعوا . . لأن «الخرافة» نظراً لأنها تقوم على ضلالات هشـة . . لا يكاد الشك يدخلها حتى يهدمها . . والحقُّ في تَعَقُّبِها إذا كان لحوحاً . . قضى عليها . . أو على أقل تقدير أوقف نموها حتى لا تصيب الآخرين . . ومن أجل ذلك كله قررت أن أتوكل على الله ، وأبدأ الشرح للرجل . . ولم تكن المهمة سهلة . . فلا بد أولا أن أطمئنه ، وأزيل ما بينـه ، وبين سيرة الشيخ «محمد بن عبدالوهاب» . . ثم ما ترسب في ذهنه من زمن عن «الوهابية والوهابيين» . . ففي

أوّل الحديث. . إتهم «الوهابية» بعدد من الاتهامات يعلم الله أن دعوة «التوحيد». . بريئة منها. . براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام. . !

ورحت أحـاول في حمـاس شديد. . أشـرح له سر حمـلات الكراهية، والبغضاء. . التي يشنها البعض على دعـوة «التـوحيد». . وكيف أنهـا أحيت شعـائـر الشـريعـة، واصول العبادات، وفي ذلك القضاء على محترفي الدجل، وحراس المقابر، وسدنة الأضرحة، والذين يكدّسون الأموال عاماً بعد عام. . من بيع البركات، وتوزيع الحسنات على طلاب المقاعد في الجنة. . فالمقاعد محدودة والوقت قد أزف. . ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. . !

ولمحت على ملامحه بعض سمات الخير. . نظر في دهشـة. . كأنه يفيق من غيبوبة. . ورغم ذلك. . فقد راح يتشنج، ويدافع عن أهل الله الذين ينامون في قبورهم. . لكن يتحكمون بأرواحهم في بقية الكون، وأنهم يدعون كل ليلة جمعـة للاجتمـاع عنـد قطب من الأقـطاب. . وحتى

النســاء من الشهيرات يلتقين أيضــاً مع الـرجال الأقطاب، وينظرون في شئون الكون . . !

ولم أكن أطمــع في زحزحته عن معتقدات في ضميره عمـرها أكثر من ثلاثين سنة . . فاكتفيت بأن طلبت منه أن ينــظر في الأمــر . . هل هؤلاء الـمــوتـى من أصحـــاب الأضرحة . . أكرم عند الله أم محمد رسول الله؟ . . ثم يفكر طويلاً، ويجيء إليّ بالنتيجة . . دونمـــا تحيز أو تعصب . . ووعــدني بأن يفكر، ولكنه فقط يطلب مني أن أرافقهم في رحلتهم الميمـونـة إلى «طنطا» . . فقلت له . . أن هذا هو المستحيل لن يحدث . . وإذا كان مصمماً على الذهاب هو وزوجته إلى «السيد البدوي» حتى يعيش ابنهم . . فالمعنى الوحيد لذلك هو أن الأعمار بيد «السيد البدوي» . . وحملق فيَّ، وصاح :

لا تكفر يا رجل . . ؟

فقلت له :

ـ أينا يكفر [ويشرك] . . ؟ أنا الذي أطلب منك أن تتوجه

إلى الله .؟ أم أنت الذي تصر على أن تتوجه إلى «أحمد البدوي» . . ؟

وسكت واعتبر هذا مني إهانة لضيافته وأخذ زوجته، وأخذت زوجته الخروف وابنها، وانصرفوا من العباسية في القاهرة إلى «طنطا»، وحينما وقفت أودعهم . . همست في أذن الزوج أنه إذا تفضل بعدم المرور علينا بعد العودة من مهرجان الشرك . . فإنني أكون شاكراً له ما يفعل . . وإلا لقي مني ما يضايقه . . وازداد ذهول الرجل، ومضى الركب الغريب . . يسوق الخروف نحو «طنطا» . . !

وانثنت زوجتي تلومني لأنني كنت قاسياً معهم، وهم الذين يخافون على طفلهم . . الذي عاش لهم بعد أن تقدمت بهما العمر، ومات لهما من الأطفال الكثير . . وصحت في زوجتي ، أن الطفل إذا كان سيعيش فذلك لأن الله يريد له أن يعيش وإن كان سيموت فذلك لأن الله يريد له ذلك . . لا شريك لله في أوامره ولا شريك له في إرادته .

(٥)

وذهبت إلى إدارة الجريدة التي أعمل بها . . وإذا

بالدكتور يتصل بي تليفونياً ليتحدث معي في شأن له، ولم يخطر ببالـه أن يسألني.. ماذا فعل بي الكتاب؟ أو ماذا فعلت به.. واضطررت أن أقول له.. أنني في حاجة الى مناقشة بعض ما جاء في الكتاب معه.. والتقينا في الليل وحدثته عن الكارثة التي جاءتني من الصعيد، ولم يعلق على محاولتي إقناعهم بالعدول عن شركهم.. مع أنني منذ أيام فقط.. كنت لا أقل شركاً عنهم. وقلت له.. ألا يلفت نظرك أنني أقول لهم ما كنت تقوله لي..؟

قال في هدوء يغيظ.. أنـه كان على يقين من أنني سوف أكون شيئاً مفيداً للدعوة.. وأردت الاحتجاج على أنني من «الأشياء» ولست من الآدميين: لكن الدكتور.. لم يتوقف، وقال لقد صدر منك كل هذا بعد قراءة نصف الكتاب. فكيف بك إذا قرأت الكتب الأخرى.. وأغرق في الضحك..!

وعلمت بعـد أيام أن قريبتي عادت من «طنطا» إلى الصعيد مباشرة دون المرور علينا في القاهرة، وأنها غاضبة مني، وشكتني لكل شيوخ الأسرة. وفي الأسبوع الثاني..

فوجئت بجرس الباب يدق. . وذهب ابني الصغير ليستطلع الأمر. . ثم عاد يقول لي:

- إبراهيم الحران. .

«الحران». . إنه زوج ابنة خالتي. . ماذا حدث. . ؟ هل جاؤوا بخروف جديد، ونذر جديد لضريح جديد. . أم ماذا. . ؟ وقررت أن يخرج غضبي من الصمت إلى العدوان هذه المرة، ولو بالضرب. . ومشيت في ثورة إلى الباب. . وإذا بهذا «الحران» يمد يده ليصافحني، ودعوته إلى الدخول فرفض. . إذاً لماذا جاء. . ؟ نظر إليّ وابتسم ابتسامة مغتصبة وهو يقول. . إنه يطلب كتاب «الشيخ محمد بن عبدالوهاب» الذي عندي، وحملقت فيه طويلاً، وجلست على أقرب مقعد. . !

سقطت قلعة من قلاع الجاهلية. . لكن لماذا؟ وكيف كان ذاك السقوط؟ جاء صاحبي إبراهيم يسعى بقدميه. . يطلب ويلح في أن يبدأ مسيرة التوحيد. . لا بد أن وراء عودته أمراً. ليس من المعقول أن يحدث ذلك بلا أسباب

قوية جعلت أعماقه تتفتح، وتفيق . . على حقائق غفل عنها طويلا . . !

ورحمة بي من الذُّهول، وإجابة لنظراتي المتسائلة . . بدأ يتكلم، وكانت الجملة التي سقطت من فمه . . ثقيلة كالحجر الذي يهبط من قمة جبل . . صكت سمعي . . ثم ألقت بنفسها تتفجر على الأرض . . تصيب وتدمي شظاياها . قال:

ـ لقد مات ابني عقب عودتنا . . ! إنا لله وإنا إليه راجعون . . هذا هو الولد الرابع الذي يموت لإبراهيم تباعاً، وكلما بلغ الطفل العام الثالث . . لحق بسابقه . . وبدلا من أن يذهب إلى الاطباء ليعالج مع زوجته، بعد معرفة المرض . . فقد يكون مبعث ذلك مرض أصاب الأب أو الأم . . إقتنع ـ وقنع بأن ينذر مع زوجته مرة للشيخ هذا، ومرة للضريح ذاك، وأخرى لمغارة في جبل بني سويف . . إذا عاش طفله، ولكن ذلك كله لم ينفعه . . ورغم الجهل والظلم الذي يظلمه لنفسه . . إلا أنني حزنت من أجله . .

تألمت حقيقة . . أخذته من يده، وأدخلته، وجلست أستمع إلى التفاصيل . . !

لقد عاد من طنطا مع زوجته إلى بلدهما . . وحملا معهما بعض أجزاء من «الخروف» الذي كان قد ذبح على أعتاب ضريح «أحمد البدوي» . . فقد كانت تعاليم الجهالة تقضي بأن يعودا ببعضه . . إلتماساً لتوزيع البركة على بقية المحبين، وأيضاً لكي يأكلوا من هذه الأجزاء . . التي لم تتوفر لها إجراءات الحفظ الصالحة ففسدت . . وأصابت كل من أكل منها بنزلة معوية . . وقد تصدّى لها الكبار وصمدوا . . أما الطفل . . فمرض، وانتظرت الأم بجهلها . . أن يتدخل «السيد البدوي» . . لكن حالة الطفل ساءت . . وفي آخر الأمر . . ذهبت به للطبيب الذي أذهله . . أن تترك الأم ابنها يتعذب طوال هذه الأيام . . فقد استغرق مرضه أربعة أيام . . وهزَّ الطبيب رأسه، ولكنه لم ييأس . . وكتب العلاج . . «أدوية» وحقن، ولكن الطفل . . إشتد عليه المرض، ولم يقو جسمه على المقاومة . . فمات!

من موت الطفل بدأت المشاكل . . كانت الصدمة على الأم . . أكبر من أن تتحملها . . ففقدت وعيها . . أصابتها لوثة . . جعلتها تمسك بأي شيء تلقاه، وتحمله على كتفها وتهدهده وتداعبه على أنه ابنها . . أما الأب فقد انطوى يفكر في جدية بعد أن جعلته الصدمة يبصر أن الأمر كله لله . . لا شريك له . . وأن ذهابه عاماً بعد عام . . إلى الأضرحة، والقبور . . لم يزده إلا خسارة . . واعترف لي . . بأن الحوار الذي دار بيني وبينه . . كان يطن في أذنيه . . عقب الكارثة، ثم صمت . . ! فقلت له بعض الكلام الذي يخفف عنه، والذي يجب أن يقال في مثل هذه المناسبات . . ولكن بقي في نفسي شيء من حديثه . فهو لم يكتمل؛ ماذا حدث لزوجته المنكوبة وهل شفيت من لوثتها أم لا؟

فقلت له : لعل الله قد شفى الأم من لوثتها . ؟! فأجاب وهو مطأطيء الرأس . . إن أهلها يصرون على الطواف بها . . على بعض الأضرحة والكنائس أيضاً . . ويرفضون عرضها على أي طبيب من أطباء الأمراض النفسية

والعصبية. . ليس ذلـك فحسب. . بل ذهبوا بها إلى امرأة لها صحبة مع الجن فكتبت لها [تعويذة خرافيّة]. . وهكذا تزداد العلة عليهـا في كل يوم وتتفـاقم. . وكـل ما يفعله الدجالون يذهب مع النقود المدفوعة إلى الفناء. . !

وحينمـا أراد أن يحسم الأمر. . وأصر على أن تُعْرض على طبيب. . أو يطلقهـا لهم. . لأنهم سبب إفسادها. . برزت أمها تتحداه، وركبت رأسها فاضطر إلى طلاقها وهو كاره. . !

(٦)

أثـارتني قصتـه، ورغم حرصي على النسخـة التي حصلت عليها من «الدكتور جميل» إلا أنني أتيته بها و[قدمتها] له. . فأمسـك بها وقلبها بين يديه. . وعلى غلافها الأخير كان مكتوباً كلام راح يقرؤه بصوت عال. . كأنه يسمع نفسه قبـل أن يسمعني «نـواقض الإسلام» من كلمـات شيخ الإسلام «محمد بن عبدالوهاب». : **﴿ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾**

ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر.

ورفع رأسه فحملق في وجهي. . ثم أخذ الكتاب، وانصرف واشترط أن يعيده لي بعد أيام، وأن أحضر له من الكتب ما يعينه على المضي في طريق «التوحيد». . !

انصرف ابراهيم، والمأساة التي وقعت له تتسرب الى كياني قطرة بعد قطرة. . فهي ليست مأساة فرد، ولا جماعة، وانما هي مأساة بعض المسلمين في كثير من الأمصار. الخرافة أحب اليهم من الحقيقة، والضلالة أقرب إلى أفئدتهم من الهداية، والإبتداع يجتذبهم بعيداً عن السنة. . !

حاولت الاتصال تليفونياً «بالدكتور جميل». . فقد كنت أريد أن أنهي إليه أخبار «إبراهيم»، ولكني لم أجده فبدأت العمل في كتابات لمجلة شهرية تصدر في قطر. . إعتادت أن تنشر لي أبحاثاً عن الجريمة في الأدب العربي، وصففت أمامي المراجع، وبدأت مستعيناً بالله على الكتابة، وإذا بالتليفون يدق. . كان المتكلم مضدراً رسـ

في وزارة الـداخـلية . . يدعـوني بحكم مهنتي كصحفي متخصص في الجريمة . . لحضور تحقيق في قضية مصرع أحـد عمـال البـلاط، وكـان قد عثر على جثته ملقاة قبل يومين . . !!

تركـت كل ما كان يشـغـلني إلى مكـان التحقيق . . والغـريب في الأمر . أن يكون الأساس الذي قامت عليه هذه الجـريمـة هو السقـوط أيضـاً . . في هاوية الشـرك، والدجل والشعوذة . . بشكل يدعو إلى الإشفاق . . فالقتيل كان يدّعي صحبة الجن، والقدرة على التوفيق بين الزوجين المتنـافـرين، وشفـاء بعض الأمـراض وقضـاء الحـاجات المستعصية . . إلى جانب عمله في مهنة البلاط . . !

أمّا المتهم القاتل . . فكان من أبناء الصعيد . . تجاوز الخمسين من عمـره، وكان متزوجاً من امرأة لم تنجب . . فطلقها وتزوج بأخرى في السابعة عشرة من عمرها لكنها هي الأخرى لم تنجب . . وبلغه من تحرياته أن مطلقته . . قامت بعمـل سحـر له نكـاية بـه . . يمنعـه من الإنجـاب من زوجته

الجديدة . . فاتصل بذلك الرجل الذي كان شاباً لم يتجاوز الأربعين . . واتفق معه على أن يقوم له بعمل مضاد . . وتلقف الدجّال فرصة مواتية . . وذهب معه إلى البيت . . وكتب له الدجال بعد أن تناول العشاء الدّسم . . بعض مستلزمات حضور الجن من بخور وشموع وعطور، وذهب الرجل ليشتريها . . وترك «الدجال» وزوجته الحسناء في البيت . . !

خرج الرجل مسرعاً يشتري البخور الذي سيحرق تمهيداً لاستحضار الجن . . وترك الدجال الشاب مع الزوجة الحسناء . . وكان لا بد أن يحدث ما يقع في مثل هذه المواقف . . فقد حاول المشعوذ أن يعتدي على الزوجة . إذ راودها عن نفسها ليرضي شهوته، وهي العفيفة الشريفة . . فقامت لتغادر البيت إلى جارة لها . . حتى يصل زوجها . وإذا بها تجد زوجها على الباب . . فقد نسي أن يأخذ حافظة نقوده . . وروت له في غضب ما وقع من الدجّال، وانفعل الزوج الصعيدي، وحمل عصا غليظة،

ودخل على الدجّال في الغرفة، وانهال عليه بالعصا.. حتى حطم رأسه.. بعدها وجد نفسه أمام جثة لا بد أن يتخلص منها.. فجلس يفكر!

خرج ليلاً فاشترى كيساً، وعاد فوضع الجثّة فيه.. وانتظر حتى انتصف الليل.. ثم حمل الجثة على كتفه، وألقى بها في خلاء على مقربة من الحي الذي يسكنون فيه.. وعاد الى غرفته يحاول طمس الآثار ومحوها.. وظن أنه تخلص من الدجال الشاب إلى الأبد!

ولكن رجال الشرطة.. بعد عثورهم على الجثة.. بدأوا أبحاثهم عن الكيس الذي كان يحتوي على الجثة.. وما كادوا يعرضونه على البقالين في المنطقة، حتى قال لهم أحدهم أن الذي اشتراه منه هو فلان، وكان ذلك بالأمس فقط وألقت الشرطة القبض على الرجل، وفتشت غرفته فوجدت الآثار الدالة على ارتكاب القتل.. وضُيِّقَ عليه الخناق فاعترف بتفاصيل الحادثة..!

● * ●

لم يكن حضوري هذا التحقيق صدفة فكل شيء يجري في ملكوت الله بقدر. . إذ يسوق لي هذه الجريمة المتعلقة أيضاً بفساد العقيدة. . لتجعلني أناقش مع الآخرين. . قضية العقيدة والخرافة من بذورها الأولى. . ولماذا تروج الخرافة، وتتغلغل في كيانات البشر دون وازع؟ هل الذين يتاجرون بها أوسع ذكاء من الضحايا؟

وماذا يجعل الضحايا وهم ملايين. . يندفعون إلى ممارستها، والإيمان بها، والتعصب لها. . ؟ أم أن «الوثنية» التي لا تؤمن إلاّ بالمحسوس والملموس. والتي ترسبت في أذهان العالمين سنين طويلة. . تفرض نفسها على الناس من جديد. . تساندها الظروف النفسية لبعض البشر. . الذين اعتادوها!!؟

فالقاتل والقتيل في هذه الجريمة. . كلاهما فاسد العقيدة. . لا يعرفان من الإسلام سوى اسمه. . فالقتيل مشعوذ يمشي بين عباد الله بالسوء، ويكذب عليهم، ويدّعي-أنه على صلة بالجن، وأنه يُشْقي ويُسْعد، ويشفي

ويمرض بمعاونة الجن، وفي ذلك إشراك بربوبية الله وإضرار بالناس. . أما القاتل فهو من فرط جهالته يعتقد أن إنساناً مثله في وسعه أن يجعله ينجب ولداً أو بنتاً. . وقد يكون عذره أنه في لهفته على الإنجاب ألغى عقله. . غير أنه لو أن له عقيدة سليمة. . تُرسِّخُ في ذهنه أنَّ الله بلا شركاء، وأن النفع والضر بيد الله فقط وتُوصِّل هذه المفاهيم في أعماقه. . ما كان يمكنه أن يستسلم لدجال. . ولاستطاعت عقيدته أن تحميه من السقوط في يدي مثل هذا المشعوذ!!

قال الله تعالى: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له».

﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾.